الآثار التي ترتبت على المنظومة والحياة السياسية في تشاد

إعداد

الدكتور إبراهيم برمة أحمد

أستاذ مساعد في التاريخ السياسي المعاصر بجامعة الملك فيصل بشاد

رقم التلفون: 05 35 16 66 00235

البريد الإلكتروني: abouahmatibrahim@gmail.com

إصدار أكتوبر لسنة 2024م

شعبة الدراسات التاريخية والأثرية

مقـدمــة

لقد شكلت بداية الحياة السياسية في تشاد مرحلة جديدة من مراحل كفاح الشعب التشادي من أجل وضع حد للحكم الاستعماري المباشر ، وتحقيق المشاركة الحقيقية في اتخاذ القرار وصولا للاستقلال الوطني واتخاذ القوي السياسية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية في تشاد عدة وسائل للنضال السياسي من أجل الوصول إلي الغاية المنشودة وهو تحقيق الاستغلال ومن بين ذلك أثر التكتل في المجمعات الإقليمية السياسية أو عن طريق العمل السياسي علي مستوي الدولة التشادية .

كما أن المصالح الاستعمارية الفرنسية في تشاد تركت أثار وأعاقت عملية التطور السياسي وأوقفت عملية البداية الاعتيادية للحياة السياسية في تشاد وأخرت في الوقت ذاته عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية وحالت دون تحقيق الوفاق الداخلي في المجتمع التشادي ،بل ساعدت في زيادة حدة التخريب والتدمير للهياكل الإدارية والتنظيمية والسياسية للمجتمع التشادي .

الوعي السياسي

يعتبر الوعي السياسي عن رؤية الأفراد للنظام السياسي القائم والعمليات السياسية والممثلين السياسيين, وأهداف وبرامج التنظيمات والأحزاب السياسية, وموقفهم منها ومدى مشاركتهم في أنشطتها وصيغ وتوجيه القرارات السياسية في المجتمع.

ويعرف الوعي السياسي: على أنه إدراك الأفراد للواقع السياسي والتاريخي لمجتمعهم والتعرف على ما ينبغي دعمه وتغييره, ولذلك فان أهم مؤشرات وجود الوعي السياسي هي:

- إدراك الأفراد للأوضاع والمتغيرات السياسية على اختلاف تنوعها ومستوياتها.
- الإقبال على المشاركة السياسية سواء كان ذلك في مستوى الترشيح, والانتخاب لتعبير الأفراد عن مدى اهتمامهم بالأمور السياسية والمشاركة فيها[1]

1- أحمد,قاسم أحمد- التعددية الحزبية في تشاد خلال خمسين عاما من الاستقلال ، بحث غير منشور ، -ص29.

عناصر الوعي السياسي

إن أهم عناصر الوعي السياسي يمكن تلخيصه في مايلي:

1. الشعور بالامتداد السياسي: وهي حالة ذهنية يشعر فيها الفرد بأنه يملك القدر على فهم موطن الخلل والاعوجاج, فيسعى إلى التنديد بها, وكشف عواقبها السلبية على الفرد والجماعة, ثم يبدي رأيه دون خوف من لوم أو عقاب.
2. الاستعداد للمشاركة السياسية: إذا أنس الفرد في نفسه قوة وقدرة من الناحية الشعورية, فعليه أن يعي بأن المشاركة في صياغة السياسات والقرارات واختيار الحاكم وأعضاء المجالس النيابية.
3. التسامح الفكري المتبادل: ويقصد به أن يكون النظام السياسي مرنا بحيث يسمح لكافة التوجهات السياسية أن تعبر عن نفسها من خلال قنوات مشروعة على المستويين الرسمي والشعبي.
4. توفير روح المبادرة: إن شعور الأغلبية بأهمية المبادرة الفردية في الحفاظ على سلامة التوجه السياسي, كوسيلة اجتماعية لتنظيم الأمور السياسية والاجتماعية التي تعتبر عنصرا هاما من عناصر الوعي السياسي.
5. احترام المبادئ قبل الأشخاص: وهي العوامل المساعدة في ثبات الحرية السياسية وازدهارها وتوفر القناعة على الضمير السياسي للأفراد.[2]

[2]- حسن,بركات حمزة ، علم النفس السياسي ، الدار الدولية للاستثمار الثقافية ، ط1-2008م ، ص185.

البناء الداخلي للأحزاب

إن الأحزاب السياسية التشادية تعد في الغالب فروعا محلية لبعض الأحزاب السياسية الفرنسية لحزب تجمع الشعب الفرنسي(RPF)وحزب العمال العالمي, والحزب الشيوعي الفرنسي.

وكانت هذه الأحزاب الفرنسية تكرس جهودها من أجل ترسخ سياسة الإدماج, وتعارض بشدة فكرة القومية الأفريقية الداعية إلى الانفصال عن فرنسا الأم! وكان لها أعضاء ومؤيدين من الفرنسيين المستوطنين في تشاد من الموظفين وكبار التجار والعسكريين.

وقد تغلغلت تلك العناصر في الأحزاب السياسية التشادية, وبحكم إمكانياتها بما يتماشى مع السياسة الفرنسية وبما يقدم المصالح الشخصية لتلك العناصر.

وقد حصل بعضهم على مناصب سياسية عالية عن طريق الأحزاب السياسية التشادية في الجمعية التأسيسية الفرنسية الأولى لسنة1945مواستمرت حتى مطلع عام1956م.

وان عدم وجود اتجاه سياسي وفكري واضح لهذه الأحزاب السياسية التي نشأت نتيجة لظروف سياسية تخص القوى الاستعمارية وتخدم مصالحها.

ونظرا للمعطيات السياسية الإقليمية والمحلية والدولية والتي أظهرت ضروريات المشاركة السياسية لشعوب المستعمرات مع إدارة المستعمر, دون أن يكون لها دعم شعبي وجماهيري, ودون أن يكون لها بعد وطني أو إقليمي أو عالمي, لذا فلم تستطيع تلك الأحزاب السياسية التشادية التي ظلت في الساحة السياسية التشادية أن تحقق أي من آمال وتطلعات الشعب التشادي في الحرية والتقدم التي يتطلع إليها الشعب في تلك الفتة.

وان معظم كل هذه الأحزاب كانت رهينة للتسلط والدكتاتورية من قبل زعمائها, ولم تتح الفرصة للمشاركة الشعبية في اتخاذ القرارات المصيرية داخل هذه الأحزاب.

ولم تكن لدى الأحزاب السياسية العامة لدى الشعب وإفهامهم بمخاطر السيطرة الأجنبية ومدى قوة وقدرة القوى الشعبية على التفاعل الايجابي مع هذه الأحزاب والعمل على استيعاب عناصر جديدة فاعلة ومؤثرة إلى حقوقها مما أضعف ذلك شعبيتها وقلل من تأثيرها بين عامة الشعب التشادي.

حيث ظلت معظم تلك الأحزاب التشادية تتكون تحن تأثير القبلية والإقليمية الضيقة والو لاءات الشخصية والمصالح الطبقية مما أدى إلى استنزاف جهودها في قضايا هامشية. نتيجة لحالة الضعف المتفشية بين قيادات الأحزاب التشادية وعدم الاعتماد على نفسها, والميل دائما نحو القوى الفرنسية المحلية للاستعانة بها في خوض غمار المعترك السياسي, وقد أتاح ذلك للفرنسيين فرصة لأحكام قبضتهم على الأحزاب السياسية التشادية والتي تتسم بالتجزئة والتفكك, فكثير ما يلاحظ انقسام الحزب الواحد على نفسه حتى ينشأ عن ذلك ميلاد لحزب جديد أو حركة سياسية جديدة, وهذا بالتالي يؤدي إلى تفشي الضعف وتشتيت الجهود والبحث فقط على الفوز في الانتخابات التشريعية وتكوين الائتلافات بين حزبين أو أكثر وتنتهي بمجرد انتهاء الحملة الانتخابية وتحقيق الفوز.[3]

وقد كانت العوامل التي أثرت على تكوين الأحزاب السياسية في تشاد مختلفة ومتنوعة وذات اتجاهات فكرية سياسية واجتماعية متباينة, فمنها ما هو ذو ارث ثقافي ومنها ما هو ذو ارث تاريخي حضاري اجتماعي محلي, ومنها متأثر بالعوامل السياسية الفكرية الخارجية والداخلية.

3- إبراهيم برمة أحمد ، أثر الاستعمار الفرنسي في الصراع الثقافي في تشاد ، بحث غير منشور ، رسالة دكتوراه ، 2017م ص 111.

فالعوامل الخارجية تتمثل في كون الأحزاب السياسية أحزاب انبثقت من عدة مرجعيات هي في الأساس أحزاب أو فروع من الأحزاب الفرنسية الرئيسية, وفي نفس الوقت برز عليها أثر البرلمانية الكلاسيكية, عن طريق تدريب وتلقين الزعماء السياسيين على لعبة الأغلبية السياسية.

أما العوامل الاجتماعية فخي أيضا نتاج الواقع والبيئة الاجتماعية التشادية التي لم تستطع الساسة التخلص منها في مرحلة بداية الحياة السياسية, وأصبح تشكل واقعا عمليا لنصرة الأحزاب السياسية ومدى شعبيتها.

بينما العوامل الدينية لها أثر كبير في مسيرة العمل السياسي في تشاد, حيث أن نمط الحياة الاجتماعية التشادية يعطي أهمية خاصة للجوانب الاجتماعية والدينية, لذا فان التجمعات الحزبية في تلك الفترة كانت امتدادا طبيعيا لواقع الحياة الاجتماعية والدينية في تشاد, ومن ابرز تلك الأحزاب السياسية مايلي:-

1/ الاتحاد الديمقراطي التشادي(UDT)

تم إنشاؤه عام1945م ويعد أول حزب نشأ في تشاد بزعامة السيد/ عربي القوني وعضوية كل من (العقيد/ بوسوري, بشير سو, جبريل خير الله)وذلك كفرع محلي لحزب تجمع الشعب الفرنسي, وتم تأسيس هذا الحزب بدعم من الإدارة الفرنسية, ويعد مثلا للاتجاه اليميني المحافظ في فرنسا. وكانت أهداف تنصب حول تدعيم علاقات التعاون والاندماج مع فرنسا, وكذلك أصباغ مشروعية الزعامات التقليدية وإعطائهم صلاحيات أكثر وواسع مع الاهتمام بقضايا مثل{الاستقلال, التعليم, التنمية البشرية }.

أما القاعدة الاجتماعية والفكرية لهذا الحزب فهو قد اعتمد بالدرجة الأولى على رجال الأعمال والزعامة التقليدية, ولم يتجاوز هذا الإطار فينطلق إلى قاعدة أوسع وأعمق وأكبر من ذلك.[4]

وفي عام1952م انحل حزب الاتحاد الديمقراطي بسبب الصراعات الشخصية والمصالح الضيقة في الاتجاهات السياسية المتضاربة التي ظهرت إبان الحملة الانتخابية للجمعية الإقليمية التي أجريت في مارسعام1952م, وتسببت في انشقاق أعضاء الحزب, فطالبت مجموعة منهم الاحتفاظ ببرنامج الحزب الأساسي وعدم التغيير فيه, بينما طالبت مجموعة أخرى بتغيير برنامج الحزب بما يتفق مع الاتجاهات السياسية الجديدة, والمتجهة نحو المطالبة بالاستقلال التام عن فرنسا

2/ اتحاد تشاد الديمقراطي المستقل(UDIT)

تأسست في عام1952م وهي نفس السنة التي تم فيها انشقاق أعضاء من الاتحاد الديمقراطي التشادي[بزعامة السيد/ جان باتيست]. وأصبحت الحركة الاجتماعية التشادية الاسم الجديد لحزب الاتحاد الديمقراطي المنحل بزعامة {السيد/ عربي القوني وعضوية السيد/ كوكب}حاكم إقليم تشاد في تلك الفترة.

والجدير بالذكر أن هذه الحركة الجديدة تحمل نفس الأهداف والبرامج والطموحات الذي كان يحملها اسم الاتحاد الديمقراطي التشادي.

3/ الحزب الاشتراكي المستقل{PSIT}

تم تأسيسه اثر انشقاق حزب(الاتحاد الديمقراطي التشادي)بزعامة السيد/أحمد غلام الله, وعضوية كل من النقابي الاشتراكي السيد/ أندري كييفر رئيس القسم الفرنسي

4- الماحي, عبد الرحمن عمر, تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال(1894-1960م), الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1982م, ص223

لحزب العمال العالمي, ورئيس الغرفة التجارية بفورت لامي ولم تستمر أموره وبرامجه حتى عام 1956م انحل

الحزب الاشتراكي التشادي المستقل, لانسحاب بعض أعضائه وانضمامهم إلى الحزب التقدمي التشادي وقد شكل غلام الله بعدها حزبا آخر يحمل اسم (الحركة الاشتراكية الأفريقية)بزعامة السيد/ أحمد غلام الله.[5]

4/ الحزب التقدمي التشادي[PPT]

تم تأسيسه عام1952م وتسببت في انشقاق أعضاء الحزب, فطالبت مجموعة منهم الاحتفاظ ببرنامج الحزب الأساسي بما يتفق مع الاتجاهات التبعية التاريخية. وكان الحزب التقدمي التشادي تأسس في فورت لامي بقيادة السيد/ غابرييل لازيت الذي مثل تشاد في الجمعية الوطنية التشادية, وقد شكل الحزب التقدمي التشادي إطارا سياسيا فكريا وتنظيميا لحزب التجمع الديمقراطي الإفريقي, كما كسب وحي وشعبية الهفوة التقدمية من أهالي الجنوب التشادي,أو الطابع المسيحي والوثني, وأصبحت المناطق الجنوبية تشكل الأرضية الكبيرة لمناصري ومؤيدي الحزب التقدمي التشادي.

5/ حزب تجمع الأفريقيين التشاديين المستقل[6]

انشأ هذا الحزب عام1958م بزعامة السيد/ ساهولبا وعضوية كل من (جبريل خير الله وآخرون), وكان يهدف إلى العمل من أجل تحقيق مصالح الأمة التشادية وكسب ثقة الجماهير التشادية والتحدي للحزب التقدمي التشادي, والحركة الاشتراكية الأفريقية اللذان بدءوا يمثلون قوة سياسية كبيرة ومؤثرة في مسيرة العمل السياسي الذي يمهد بدوره لمرحلة ما بعد الاستقلال,وبدأ هذا الحزب الجديد العمل

5- المرجع السابق, ص220.

6-الماحي, عبد الرحمن, تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال(1894-1960م),مرجع سبق كره, ص227.

من أجل إثبات الذات في الواقع السياسي, وتقديم الرؤى والبرنامج الذي سيمكنه من القيام بقيادة

مسيرة البلاد بعد الاستقلال, وقد كان للحزب أثر كبير وجوهري في الحراك السياسي التشادي, حيث شارك في تكوين الحكومات المؤقتة التي سبقت الاستقلال في تشاد, إذ كانت بداية الحياة السياسية في تشاد كانت بداية مظهرية وغير منظمة ودقيقة مرتبطة ارتباطا عضويا وفكريا وسياسيا مع القوى الاستعمارية الفرنسية واتجاهاتها في السيطرة والتحكم وتوجيه الأمور, ونظرا لأن الإدارة الفرنسية رأت ضرورة تغيير السياسة الاستعمارية التسلطية التعاون مع بعض الأحزاب والقيادات المرحلية من أجل خلق زعامات تتولى قيادة البلاد بعد الاستقلال, وتصبح هذه القيادات بمثابة الوسيط الأمين بين الفكر الفرنسي والشعب التشادي, لآن هناك واجبا حضاريا تقع على عاتق فرنسا تجاه الشعوب الأفريقية كما صورتها الثورة الفرنسية للفرنسيين من أن عليهم واجب حمل شعلة إلى البشرية وتعليمهم دروس الحرية حتى ولو كان ذلك بقوة وفرض الاتجاهات الفرنسية على الشعوب,ولذا اعتمدت فرنسا في سياساتها الاستعمارية على محورين أساسيين هما [7]:

1-خلق هيئات تمثيلية ذات طابع محلي عن طريق الانتخابات البرلمانية, ويتم تكوين تأسيس عناصرها وقواها السياسية والفكرية من قبل القوى الاستعمارية الفرنسة والموالين لها فكريا وعقديا وسياسيا.

2-خلق برنامج استعماري جديد يشترط فيها درجة معينة من الثقافات تكون الهفوات المكلفة بالمهام البيروقراطية الجديدة وتمكينها من وسائل السيطرة في المجتمع وقد أوضحت هذه السياسية العدائية من خلال ما تم عرضه لمجموعة من الأحزاب السياسية التي ظهرت في الفترة من 1958م ولم تستطيع أن تحقق

7-الماحي, عبد الرحمن عمر المرجع السابق, ص231.

تطلعات وآمال الشعب التشادي, في بداية نشوء حياة سياسية متزنة ومتوافقة مع واقع

الحياة السياسية التشادية, ووفق رؤية واضحة وتكوين ثقافي حقيقي واتجاه سياسي ينطلق من قيم وثقافة المجتمع التشادي الذي كان يعلق آمالا كبيرة في بداية الحياة السياسية مما أدت هذه البداية المظهرية إلى نتائج عدة منها:-

- امتصت الأنشطة السياسية واحتوت قواها إلى درجة تلاشي بعضها تماما.

- أظهرت التفوق الارثي والفكري لأقلية إقليمية من المجتمع التشادي وضمنت وصولها إلى السلطة بمجرد حصول البلاد على الاستقلال.

- عمدت القوى الفرنسية على تنمية الشعور الإقليمي والارثي والثقافي والعقدي, وشجعت النزاعات الانفصالية عن طريق تدعيم مقولة(الجنون المفيد)حيث وجود الشركات الاحتكارية الفرنسية والتواجد الكنسي الكثيف وتعاطف الهفوة الجنوبية معه, بالإضافة إلى العائد الاقتصادي الكبير للقطن والتي كانت سببا في التطور اللا متكافئ للبلاد بين الشمال والجنوب.

ولقد كان لتطبيق السياسة النخبوية اللا انتقائية في تشاد من قبل الإدارة الفرنسية,وبالا على المجتمع التشادي بعد الاستقلال, حيث عمقت الفوارق بين الشمال والجنوب من جهة وبين الشمال والجنوب الجنوب من جهة أخرى, حيث أظهرت الروح التنافسية بين المكونات الثقافية والفكرية بين أفراد المجتمع التشادي, وعمقت في الوقت ذاته روح الكراهية بين المثقفين باللغة الفرنسية والمتحمسين للفكر الغربي النصراني, وبين القوى الوطنية المحافظة لهوية الوطن والمواطنين.وبذلك انتشر الشيوع السياسي الفكري السلبي في واقع الفكر السياسي التشادي الحديث لدى أوساط المثقفين في تشاد وخلق انقسامات وصراعات لم يشهدها التاريخ

السياسي الحديث لتشاد من قبل, ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل امتدت الصراعات لتشمل الأسرة التشادية كلها في الوقت الحاضر.

وساهمت قوى فكرية وسياسية عدة في بلورتها وتبنيها إلى أن انتهت في آخر المطاف لتصبح حربا أهلية مدمرة في المجتمع التشادي, ولم يستطع الساسة التشاديون الاستفادة من التجربة السياسية الصعبة التي عاشتها تشاد إثناء بداية حياتها السياسية, بل ظل هذا الفكر الارثي هو المسيطر على مجريات الحياة السياسية في تشاد منذ الاستقلال وحتى اليوم.[8]

أثر المستعمر على نظام الحكم السياسي

نظرا لأن تومبالباي قد مارس العمل السياسي طويلا في ظل سياسة (ليزيت)وتعلم منه دروس الإستراتيجية السياسية فقد استفاد وعرف كيف يحصل في أقل من 3سنوات على سلطة مطلقة في البلاد.

إلا أنه لم يتمكن من إقامة بناء سياسي وطنية نتيجة المعارضة الشعبية المتزايدة.

كما أن الاستعمار الفرنسي بسياسته الاندماجية التي فرضها على تشاد لم تترك مجالا للزعماء السياسيين لإقامة بناء سياسي وطني خال من الأغراض الشخصية والنزاعات القبلية.

وقد رأينا الصراعات التي كانت تدور بين الأحزاب السياسية بتوجيه من العناصر الأجنبية الأوروبية التي لا ترتبط مصالحها بمصالح الأمة التشادية.

لقد ورث تومبالباي عن الاستعمار الفرنسي مدة ستين سنة كاملة من 1900-1960م ضعيفة مفككة الأوضاع تنازعها الأقلية وانشقاقات بين الشمال والجنوب الناتج عن الاختلافات العرقية تعرضت لعوامل ضغط قوية سياسية كانت أم

8- المرجع السابق, ص233.

اقتصادية أم دينية. وكذلك التباين في الثقافات والعادات والمعتقدات, فسكان الشمال المسلمون ميالون إلى الحضارة الإسلامية واللغة العربية, وفى المقابل يتخذ السارا سكان الجنوب المسيحيون بقوة الحضارة والثقافة الأوروبية الداخلة, وقد وسع الاستعمار وعمل على تعميق حدة الخلاف بين أبناء الشعب التشادي عن طريق الاهتمام المتزايد بالجنوب على حساب الشماليين

وقد ولد تومبالباي عام 1918م بقرية سارا بمقاطعة كمرا التابعة لشاري الأوسط من قبيلة(ماجنقاي), اشترك عام947م في تأسيس حزب التقدم التشادي وكان معلما ونشطا بالعمل السياسي والنقابي, وفي عام1952م انتخب نائبا للجمعية الوطنية بدائرة شاري الأوسط, ثم أعيد انتخابه عام1957م, وفي نفس العام انتخب عضوا في المجلس الأعلى لأفريقيا الاستوائية وأصبح بذلك نائبا لرئيس الإقليم, وفي عام1959م كلف بتشكيل حكومة مؤقتة التي سبقت انتخاب الجمعية التشريعية, وفي يوم 16يونيوعام1959م أصبح رئيسا للوزراء في الحكومة الانتقالية, وكان أمينا عاما للحزب التقدمي التشادي, وأصبح رئيس الجمهورية في11-8-1960م.

ففي المجال الداخلي بدأ بتوجيه ضربة إلى مجموعة الأحزاب المتحالفة ضد الحزب التقدمي التشادي(PPT)الذي يشغل فيه منصب السكرتير العام, وكانت تلك الأحزاب قد كونت تحالفا تحت اسم الحركة الشعبية التشادية برئاسة/أحمد غلام الله. كما بدأ بقضاء الأفكار الانفصالية التي تحدد الجنوب بالشمال وإقامة دولتين عضويتين في المجموعة الفرنسية. وبصورة تدريجية بدأ في تصفية العناصر الأجنبية من الفرنسيين السياسيين والإداريين ورجال الأعمال العاملين في البلاد, والذين تعلقوا في صفوف الأحزاب السياسية الوطنية, وحذو في تسييرها وفقا لمصالحهم الشخصية, وبدأ في سلب الاختصاصات من يد ليزيت رئيس الحزب التقدمي وأستاذ تومبلباي الأول الذي تلقى على يده أصول العمل السياسي من خلال نضالهما الموحد في الحزب..

أما في المجال الخارجي عمل على فك تشاد من شبه العزلة المفروضة علها جغرافيا إذ قام في شهر يوليو1959م بتوقيع اتفاقية مع كل من مندوبين في أفريقيا الوسطي والغابون ينمي هذا الاتفاق على إقامة اتحاد دول أفريقيا الاستوائية الفرنسية مع احتفاظهما بعضويتهما في المجموعة الفرنسية وإقامة اتحاد جمركي يشمل هذه البلدان وأيضا وكالات نقل موحدة عبر موانى (بوانت نوار) وبرازافيل ومد سكة حديدية من الكون قوا إلى المحيط, وإنشاء مكتب للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية وإنشاء معهد للبحوث الجيولوجية, ومحطة إذاعة مشتركة وإقامة نظام مصرفي موحد بالاشتراك مع الكامرون والحكومة الفرنسية.

وفي يوم18مايو1960م قررت كل من تشاد وأفريقيا الوسطي والكون قوا نقل كل الاختصاصات من المجموعة الفرنسية كرسم سياسة خارجية ومالية ودفاع لكن هذه الدول واجهت مشكلة الاختلاف على عدد الوفود التي ستمثل كل دولة وأخيرا تم الاتفاق على استقلال كل دولة على حدة.[9]

الأثر السياسي

حتى عام 1946م, لم يكن هنالك مجلس نواب يدافع عن حقوق المواطنين بل كان هناك فقط مجلس خاص يتكون من الأعيان والنبلاء ويعاون الحاكم في بعض الأعمال التي تتعلق بالمسائل المالية والقضائية, وكان عددهم حوالي 12عضو من بينهم سلطان المدينة وقاضي قضاتها, وإمامها, ورؤساء التجار وبعض الوجهاء وليس لأعضاء المجلس أي صلاحيات سوى الاستشارة.

فقد كان رئيس الإقليم هو وحده صاحب السلطات التنفيذية.

9-الماحي, عبد الرحمن عمر, تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال(1894-1960م),مرجع سبق ذكره, ص239.

هذا ومن ناحية أخرى فان المواطن التشادي لم يجد حتى عام1956م فرصة مشاركة الإدارة الفرنسية في حكم البلاد, والوظائف ذات المراكز الهامة فيها, بل كانت مشاركته قاصرة على الوظائف الحكومية البسيطة القائمة على مصلحة التربية والتعليم ومصلحة الصحة والمالية, ولا يتجاوز عددهم في الفترة من 1946-1956م عن 700مواطن موظف مدني, بينما يبلغ عدد الفرنسيين الذين يعملون في الإدارة الحكومية من الفنيين والإداريين والمهندسين في فترة 1946الى1960م حوال1200موظف مدني.

هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الكاميرونيين والتوجوليين والسنغاليين الذين تأتي بهم الإدارة الفرنسية للعمل في الشركات والبنوك والدوائر الحكومية المختلفة.

والجدير بالذكر أن كافة الحكام الفرنسيين الذين حكموا تشاد خلال الفترة من عام 1918-1958م قد سعوا إلى التسلط والاستغلال والعمل على جمع الثروات والتمهيد للدخول في معترك الحياة السياسية كما فعل(رينيه مالزيت)في الفترة من 1945-1956م وروجي من 1951-1954م.

وقد نجح بعضهم في الوصول إلى السلطة السياسية بعد نهاية الحرب. ويعتبر عام1946م هو تاريخ التطور السياسي ونشأة الأحزاب السياسية في البلاد.[10]

وقد كان البرلمان الفرنسي يصدر التشريعات الخاصة في هذه الأقاليم وترك التفاصيل يطبقها حاكم الإقليم, وإذا كانت هناك استفسارات بشأن هذه التشريعات فإنها تتم في باريس عن طريق الحاكم العام.

وقد شهدت حكما فرنسيا مطلقا, إذ اعتبرت السكان رعايا فرنسيين وإلقاء النظام التقليدي ووضع الجمارك التي تكفل له نظام الاحتكار, كما قطع الاتصالات بالعالم الخارجي, ولم يسمح للسكان بمداولة إي نشاط سياسي أو ثقافي.

10- المرجع السابق, ص70-87.

وبع ذلك قسمت البلاد إلى مقاطعات بحيث لا يخرج المواطن من مقاطعة إلى أخرى إلا بتصريح, وهذا الإجراء قد يكون وسيلة غير مباشرة لدفع السكان إلى الاستقرار وعدم الارتحال, إلا أنه من جهة أخرى قد كان سببا من أسباب التوتر بين السكان وسلطات الاحتلال.[11]

وقد قامت السياسة الفرنسية في تشاد على فكر الاندماج أي انتماء الشعب التشادي للمجتمع الفرنسي تدريجيا, ويترتب على هذا الفكر مس الحضارة والتقاليد ا تشادية وترويض التشاديين ليكونوا شكلا ومضمونا كالمجتمع الغربي.

وقد مرت تشاد بفترة لم تملك فيها جيشا وطنيا بسبب خضوع الإدارة التشادية للفرنسيين, فقد أعد الفرنسيون جيشا للبلاد ويدافعون به عن أنفسهم سواء من القوى الخارجي والحركات الداخلية المناوئة لإدارتهم الاستبدادية, واستعملوا جميع أساليب القهر والعنف في هذا الجيش خاصة بعد أن أيقن التشاديون أنهم يجندون ويحاربون ليس للدفاع عن وطنهم, وإنما لحماية دولة مستعمرة من أعداءها ورفضوا الانخراط في هذا الجيش.

وقد أثبت الذين اشتركوا في القتال شجاعة نادرة, لكن المستعمر لم يرفع مستواه العسكري إلى قادة أو ضباط, بل أحالهم إلى التقاعد وأعمال الترجمة الشخصية بعد الحرب العالمية الثانية بحجة أنهم لايعرفون القراءة والكتابة.

الأثر الاجـتماعــي

عرف سكان تشاد الاستقرار منذ فترة طويلة خاصة بعد قيام مملكة كانم وباقر مي ومملكة وداي, حيث كانت منطقة تشاد تضم مجموعة من القبائل والشعوب, وهذه الشعوب والقبائل تختلف وتتباين أشدها يكون الاختلاف والتباين في اللغة والدين

11-الماحي, عبد الرحمن عمر, المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي من1918-1960م, القاهرة1997, ص136-136.

والعادات والتقاليد, ويقدر عددها بحوالي150قبيلة تتحدث ب100لهجة محلية, وكل لهجة من هذه اللهجات ذات قيمة جوهرية للمتكلمين بها.

ويقوم البناء الاجتماعي التشادي على ثلاث أسس رئيسية هي:-

- وحدة الدم.
- وحدة الجماعة.
- والتدرج الطبقي.

وفيها يتألف بالوحدة الاجتماعية سواء على مستوى القبيلة أم فروعها, أفخاذ بطون, بدنات.

إن التضامن بين أعضاء القبيلة الواحدة مطلق وغير محدود, ويتمثل في احترام الفرد للواجبات والالتزامات القرائبية والقبلية. وفي القبيلة تقوم روح الجماعة ويقوى شعور الانتماء إليها.

واستمر ذلك في نفس المنوال إلى حين قيام الأحزاب السياسي بفاعل من المستعمرات على أساس قبلي وعرقي وديني وكانت سببا في فك تلك الترابط وقامت بعضها حروب أهلية واستمرت لفترة طويلة مخلفة معها خسائر اقتصادية سلبية فاضحة وأمور أخرى لم تكن في الحسبان.[12]

الأثر الاقتصادي

لقد تركت الأوضاع السياسية في تشاد العديد من الآثار السلبية على مستوى الاقتصاد القومي مما جعل ذلك يكون عائقا كبيرا أمام برنامج التنمية التي تسعى إليها البلاد الوصول إليها في أقرب وقت ممكن, وقد بدأت الصراعات السياسية التي هي نتاج قيام الأحزاب السياسية والتعددية الحزبية التي سادت البلاد منذ منتصف القرن ال20والتي قامت على أساس التالي:

12- الماحي, عبد الرحمن عمر, تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال , المرجع السابق,ص87.

1. التعددية الحزبية القائمة على أساس المصلحة الشخصية والعمالة بالتنسيق مع الدولة المستعمرة.
2. الانتماء القبلي والطائفي للأحزاب السياسية.
3. قيام الأحزاب السياسية على أساس المصلحة الشخصية وحب السلطان والسيادة كأساس.
4. قيام أغلب تلك الأحزاب على أساس أيدلوجيات وأفكار غربية فرنسية غير واقعية مع الواقع السياسي التشادي.
5. تجاهل واقع وثقافات وعادات المجتمع التشادي من قبل الساسة.
6. نسيان الواجب الوطني في الإخلاص السياسي القائم على أساس الوطن قبل كل شي, ومصلحة الوطن والمواطنين فوق كل شيء.

ومن الملاحظ من أسباب الصراعات السياسية التي قامت في أقطار الساحة السياسية التشادية, قد أدت إلى العديد من الآثار السلبية على مستوى الاقتصاد الوطني.

وتتمثل تلك الآثار في:- [13]

- تدمير البنية الاقتصادية التشادية التي كانت قائمة قبل الاستعمار والتي كانت تعتمد على الزراعة الحيوانية والنباتية والتجارة المحلية والخارجية مع كل من السودان ونيجيريا وبعض من دو الخليج وتركيا. بعدما اعتمدت على السياسة والقبلية والحروب الأهلية والانتماءات الدينية بسبب سياسة المستعمر القائم على أساس فرق تسود.

13- بشير, محمد عثمان, من سلبيات المستعمر الفرنسي على المجتمع التشادي, بحث منشور بتاريخ12-15-2014م على موقع صحيفة توماي www.toumaijournalt.com,ص1-2

- تجاهل مستقبل البلاد الاقتصادي القائم على التخطيط والإستراتيجية والاستقرار بسبب المستعمر الذي شغل القادة التقليديين واستغلهم هم وبقية الشعوب في الحروب وأغراضه السياسية.
- اعتماد عائدات الدولة على الضرائب والتي كانت في البداية ضرائب الرؤوس على الرجل والمرأة.
- تضليل المعلومات الخاصة بالموارد الطبيعية في تشاد من قبل المستعمر أملا منه في أن هذه الموارد له هو المستعمر, ويبقي كمخزون احتياطي له.
- ارتباط العملة الوطنية بالفرنسية ارتباطا كاملا كنوع من الاستعمار الاقتصادي بعد الاستقلال.
- سوء الإدارة الاقتصادية واستعمال العنف مع المستثمرين وزيادة الضرائب على الأفراد والماشية.

بالإضافة إلى:-

- تدمير البنيان الاقتصادي التقليدي القائم في البلاد من قبل الإدارة الفرنسية خلال فترة الاستعمار الفرنسي.
- ربط الاقتصاد التشادي بالمصالح الاستعمارية الكبرى.
- التركيز على المنتجات المستخدمة في المصانع الفرنسية.[14]

الأثر الثقافي

لقد كان المجتمع التشادي قبل الاستعمار له عاداته وتقاليده وثقافاته المثلى, وتختلف تلك الثقافات والعادات من منطقة لآخر وقبيلة لآخر, إلا أن تلك المجتمعات كانت تتبادل في الثقافات والعادات باحترام الآخر ثقافة الآخر, وبعد مجئ المستعمر استطاع تقسيم البلاد إلى جنوب وشمال وفرقهم على أساس ديني وعرقي وطائفي وزرع فيما بينهم كراهية الأعداء وسبب ذلك في خلق أحزاب

14- الماحي، عبد الرحمن عمر, تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال,مرجع سبق ذكره,ص233.

سياسية عند بداية قيام الأحزاب السياسية, فقامت تلك الأحزاب على أساس عرقي ودينـي وقبلـي وطـائفي إقليمـي, ومعهـا ثقافـات أوروبيـة وأخرى لـم تكـن مألوفـة فـي الساحة الثقافية التشادية.

فأثرت تلك في حياة المجتمعات وزرعت في قلوبهم ثقافة الكراهية والقبلية والعرقية وسببت ذلك مشكلة كبرى كانت سببا في الحروب الأهلية التي سادة البلاد منذ تلك الزمان إلى يومنا هذا.

وأثر ذلك في واقع الثقافات التشادية واندثر ثقافة التسامح في قطاع الجنوب إذ يحظي بانحياز تام من قبل المستعمر وبين مختلف قبائل الشمال التي وقعت في نفس الفخ الخطير هذا وكان ما حصل ولم ينتهي إلى حين ذلك وما زال آثاره باقية إلى هذه اللحظة. [15]

أما أهم تلك المجالات التي أثرت فيها بشكل ملفت تتمثل في:-

- مجالات الثراث الثقافي
- التمثيل
- الرقصات الشعبية
- الفن المحلي
- ثقافة التآخي والتكاتف والوحدة وعدم الخلافات وعيرها

ثم أن الاستعمار الفرنسي قام بحرب ضد اللغة العربية والثقافة الإسلامية وأحل محلها اللغة الفرنسية وجعلها لغة الإدارة والتعليم.

ومن سلبيات الإدارة الفرنسية أيضا:-

- سياسة الاستيعاب التي قامت بها فرنسا لطمس الهوية التشادية, وتتمثل في عزوف بعض المثقفين التشاديين بالفرنسية عن تعليم أبناءهم اللغة العربية التي تعد لغتهم الأصيلة.
- وسعت الإدارة الفرنسية إلى تنشيط روح العداء والصراع الثقافي واللغوي بين أبناء تشاد والذين لم يزل أثرهم موجود إلى يومنا هذا.

15- بشير, محمد عثمان, مرجع سابق,ص3

- محاربة الثقافة العربية والإسلامية بتشاد.
- إضعاف الروح الوطنية لدى التشاديين.
- قتل المثقفين وتشريدهم.
- تعميق الثغرات القبلية والإقليمية والدينية بين التشاديين.
- إهمال التنمية بالبلاد.
- التشكيك بالتراث الوطني المحلي التشادي.[16]

وهذه الاستراتيجيات ترتب عليها نتائج عكسية أدت إلى عزوف المسلمين عن تعليم المناهج الفرنسية الرسمية حماية لدينهم وثقافتهم وشخصيتهم.

حيث يعتبر تدريس اللغة العربية في المدارس الرسمية مكسبا وطنيا ولكنه أحيط بسياج يجعله عقيم النتائج, بل الأخطر من ذلك أن هذا السياج ولد أثرا عكسيا في النشء التشادي أصلا يجعله لا يغير على تقسيم اللغة العربية, وأيضا أنه غير منشرح في نفسه وعقد إزاءها فصار يخشاها ويحترمها في الوقت نفسه.

وتتلخص أهداف الإدارة الفرنسية من كل هذه في الآتي:-[17]

1. توحيد الأمن والاستقرار للمواطنين الفرنسيين.
2. جمع الضرائب والإتاوات من الماشية والأفراد.
3. نشر الثقافة الفرنسية في كافة الأراضي التشادية.
4. تدمير الشخصية الوطنية.
5. محاربة الثقافة العربية الإسلامية.
6. تأكيد السيطرة الفكرية والاقتصادية في البلاد.

16- الماحي, عبد الرحمن عمر, تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال , المرجع السابق, ص137.

17- آدم هذى المهدي, الاستعمار الفرنسي في تشاد, 1945-1960م, السلبيات والايجابيات, بحث تخرج متريز غير منشور, جامعة الملك فيصل2010م.ص37.

الخلاصة

من خلال ما سبق توصلت إلى الآتي:

1. إن الأحزاب السياسية التي كونت في بداية الحياة السياسية التشادية كان أغلبها أحزاب فرعية أساسها أحزاب موجودة في الساحة السياسية الفرنسية.
2. إن جميع الأحزاب السياسية في تشاد كانت في البداية السياسية أحزاب تبعية ليس لها هدف واضح ومحدد.
3. كما إن تتبع تاريخ بداية الحياة السياسية والأحزاب السياسية في تشاد يلاحظ عدم قدرة هذه الأحزاب السياسية وعدم فاعليتها في النضال ضد الاستعمار الفرنسي في تشاد وذلك لعدة عوامل.
4. إن الأحزاب التشادية في الغالب فروعا محلية لبعض الأحزاب السياسية .
5. عدم وجود اتجاه سياسي و فكري واضح لهذه الأحزاب السياسية التي نشأة نتيجة لظروف سياسية تخص القوي الاستعمارية وتخدم مصالحها.
6. لم يكن للأحزاب السياسية التشادية برامج التوعية الجماهيري والتثقيف السياسي.
7. ظلت معظم تلك الأحزاب تلك الأحزاب التشادية ترزح تحت تأثير القبلية .

توصيات

من خلال ما سبق يمكننا أن ونصي بالآتي:

- على جميع من يدير حزب أو أي كيان سياسي عليهم إعادة هيكلته وتنظيمه على أساس هدف واضح يخدم المجتمع التشادي والوطن كأساس قبل المصلحة الشخصية.
- إن كل من يدير كيان سياسي وله هدف وطني واضح يمكنه أن يأتي على سدة الحكم بإذن الله وبإرادة شعبية.
- على الحزب الحاكم في تشاد تنظيم صفوفه وحكم البلاد برؤية وشفافية واضحة حتى يستطيع أن يكون قدوة للأحزاب الأخرى القائمة والمنضوية تحت لوائه.
- على المجتمع التشادي إدراك حقيقة جميع الأحزاب السياسية في تشاد وعدم الوقوع في فخ برامجه المصلحي الخاص.
- على المجتمع التشادي التحرك والنضال من أجل السياسة الرشيدة القائمة على أساس الوطن والمجتمع قبل كل شيء.

قائمة المصادر والمراجع

1- أحمد,قاسم أحمد- التعددية الحزبية في تشاد خلال خمسين عاما من الاستقلال ، بحث غير منشور ، -ص29.

2- حسن,بركات حمزة ، علم النفس السياسي ، الدار الدولية للاستثمار الثقافية ، ط1-2008م ، ص185.

3- إبراهيم برمة أحمد ، أثر الاستعمار الفرنسي في الصراع الثقافي في تشاد ، بحث غير منشور ، رسالة دكتوراه ، 2017م ص 111.

4- الماحي, عبد الرحمن عمر , تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال(1894-1960م), الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1982م, ص223

5- المرجع السابق, ص220.

6-الماحي, عبد الرحمن, تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال(1894-1960م),مرجع سبق ذكره, ص227.

7-الماحي, عبد الرحمن عمر المرجع السابق, ص231.

8- المرجع السابق, ص233.

9-الماحي, عبد الرحمن عمر , تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال(1894-1960م),مرجع سبق ذكره, ص239.

10- المرجع السابق, ص70-87.

11-الماحي, عبد الرحمن عمر , المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي من1918-1960م, القاهرة1997, ص136-136.

12- الماحي, عبد الرحمن عمر , تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال , المرجع السابق,ص87.

13- بشير, محمد عثمان, من سلبيات المستعمر الفرنسي على المجتمع التشادي, بحث منشور بتاريخ12-15-2014م على موقع صحيفة توماي www.toumaijournalt.com,ص1-2

14- الماحي, عبد الرحمن عمر , تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال,مرجع سبق ذكره,ص233.

15- بشير , محمد عثمان, مرجع سابق,ص3

16- الماحي, عبد الرحمن عمر , تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال , المرجع السابق, ص137.

17- آدم هذى المهدي, الاستعمار الفرنسي في تشاد, 1945-1960م, السلبيات والايجابيات, بحث تخرج متريز غير منشور , جامعة الملك فيصل2010م.ص37.